

## برنامج التزكية



﴿هناك معركة كبيرة تدور داخل نفس الإنسان بين عقله وشهوته، وستنحدر عن هذه المعركة وحقيقة أطراها بشيء من التفصيل، إذ لا بد من التعرف على هذا الأمر؛ لأنّ المشرف على المعركة هو نفس الإنسان، فلا بد له أن يعلم بأطراها ومدى قوّتهم ومكامن الضعف لديهم، ليعرف كيف يديرها بحيث تصب في مصلحته﴾.

أمّا أطرا المعركة فالطرف الأوّل هو قوى النفس: الشهوية والغصبية والوهمية، التي تقوم بدور الطاغي الشرير الذي لا يحبّ سوى أن يقوم بذلك اته غير عابئ بما يخلف وراءه من الخراب والدمار. والطرف الآخر هو العقل الذي يمثلُ الخير والمبادئ الصالحة. ولكلّ من هذين الطرفين جنود، فجنود الأهواء النفسية تُسمّى جنود الجهل أو جنود الشيطان، والعقل تُسمّى جنوده بجنود العقل أو الرحمن.

ما هو العقل؟

أجاب الإمام الصادق (ع) عن هذا السؤال بقوله: "ما عُبَدَ به الرحمن واكتُسِبَ به الجنان، فقيل له: فالذي كان في معاوية؟ فقال (ع): تلك النكراء! تلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل، وليس بالعقل".

ويُستفاد من الرواية أنّ العقل هو الذي يُنتج الخير ويأمر به، وأمّا الذي يتمادي في الشرّ ويختبر الحيل وأساليب المكر فإنه ليس من العقل بل من الشيطان أي من القوّة الواهمة التي توجد في نفس الإنسان حينما يسرّها لأجل تنفيذ أهوائه وشهوته، وقد سُمّاها الإمام (ع) بالشيطنة.

ولذا ورد في رواية أخرى عن الإمام الصادق (ع): "مَنْ كَانَ عَاقِلاً كَانَ لَهُ دِينٌ، وَمَنْ كَانَ لَهُ دِينٌ دَخَلَ الجَنَّةَ".

وبما أنّ "العقل على هذا القدر من الصلاح إذ يوصل الإنسان إلى معرفة الدين ومعرفة ربّ العالمين، فمن الطبيعي أن يكون متّصلاً بسائر الأخلاق، ففي الرواية عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) قال: "هبط جبرئيل على آدم (ع) فقال: يا آدم إِنَّكِ أُمِرْتَ أَن تَخِرُّكَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ فَاخْتُرْ وَاحِدَةً وَدَعِيَ اثْنَتَيْنِ، فَقَالَ لَهُ: وَمَا تَلِكَ الْثَلَاثَ؟ قَالَ: الْعُقْلُ وَالْحَيَاةُ وَالْدِينُ، فَقَالَ آدَمُ (ع): إِنَّكَ قَدْ اخْتَرْتَ الْعُقْلَ، فَقَالَ جَبَرِيلُ (ع) لِلْحَيَاةِ وَالْدِينِ: أَنْتَرْفَا وَدَعَاهُ، فَقَالَ: يَا جَبَرِيلُ إِنَّا أَمْرَنَا أَنْ نَكُونَ مَعَ الْعُقْلِ حِيثُ كَانَ، قَالَ: فَشَأْنَكُمَا . وَعَرَجَ".

لذلك كان العقل مَحَلًا للتكرير الإلهي، ففي الرواية عن الإمام الباقر (ع) قال: "لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ اسْتَنْتَقَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَقْبِلَ، فَأَقْبَلَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَدِبْرَ، فَأَدِبْرَ، ثُمَّ مَا خَلَقَ خَلْقَ الْعُقْلِ وَهُوَ أَوْلَى خَلْقَ مِنَ الرُّوحَانِيَّينَ عَنِ يَمِينِ الْعَرْشِ مِنْ نُورِهِ فَقَالَ لَهُ: أَدِبْرَ فَأَدِبْرَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَقْبِلَ فَأَقْبَلَ، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: خَلَقْتَ خَلْقَكَ عَظِيمًا وَكَرِّمْتَكَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِي، قَالَ: ثُمَّ خَلَقَ الْجَهَلَ مِنَ الْبَحْرِ الْأَجَاجِ طَلْمَانِيًّا، فَقَالَ لَهُ: أَدِبْرَ فَأَدِبْرَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَقْبِلَ فَلَمْ يُقْبِلَ، فَقَالَ لَهُ: اسْتَكْبِرْتَ. فَلَعْنَهُ".

وأمّا الجهل فهو عدم التعقّل، ففي الرواية عن أبي عبد الله الصادق (ع): "اعرفوا العقل وجنه والجهل وجنه تهتدوا، قال سمعاء: فقلت: جعلت فدك لا نعرف إلا ما عرّفتنا، فقال أبو عبد الله: إنّ الله عزّ وجلّ خلق العقل وهو أول خلق من الروحانيّين عن يمين العرش من نوره فقال له: أدبر فأدبر، ثمّ قال له: أقبل فأقبل، فقال الله تبارك وتعالى: خلقت خلقاً عظيماً وكرّمتك على جميع خلقتي، قال: ثمّ خلق الجهل من البحر الأجاج طلمانياً، فقال له: أدبر فأدبر، ثمّ قال له: أقبل فلم يُقبل، فقال له: استكبرت. فلعنه".

## دور العقل:

إنّ للعقل دوراً مهمّاً، يمكن تلخيصه بالنقطات التالية:

1- توجيه الميول والغرائز الإنسانية: حينما تكلّمنا عن قوى النفس، ولا سيّما القوّة الغضبية والشهوية قلنا إنّ العقل هو الذي يحاول أن يضع حدّاً للتمرّد الذي تقوم به هذه الغرائز، ويجعلها خاصة لقانون المصالح العامّة، وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين (ع): "النفوس طلقة، لكنّ أيدي العقول تمسك أعنتها عن النحوس".

أي عن ارتكاب المخالفات التي تدمّر المجتمع.

2- الأمر بالخير: فإنّ العقل يأمر بكثير من الأمور الأخلاقية الأساسية، كحسن الصدق والوفاء، وقبح الكذب والخداع، وإلى هذا المعنى أشارات الكثير من الروايات، منها ما رواه عن الإمام عليّ (ع) أنسٌ قال: "لَوْ كَذَّبَنَا لَا نَرْجُو جَنَّةً وَلَا نَخْشَى نَارًا وَلَا ثَوَابًا وَلَا عَقَابًا، لَكَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَطْلَبْ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، فَإِنَّهَا مَمْا يَدْلُّ عَلَى سَبِيلِ النَّجَاحِ".

وعن الرسول الأكرم (ص): "استرشدوا العقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا".

3- الصلاح الاجتماعي: إنّ تجاهل الإنسان لنداء العقل الداعي إلى الخير، والنهاي عن الشرور والطغيان يؤدّي بالمجتمعات إلى التحلّل ومن ثمّ الانهيار، وخير دليل وشاهد على صحة هذا القول ما نراه في الدول الكبرى التي نعمت على الدين واعتبرته كائناً ل حاجات الإنسان، وشرعت الإباحية، فيها هي اليوم تعاني الأمرّين من جرائم ضياع النسل وتفكّك الأسر وانقراض الحياة العائلية الأُسرية، ولو حاولنا أن نجد السبب الرئيس لهذه المشاكل لوجدنا الإجابة في أنّهم لم يُصغوا لنداء العقل، وعن أمير المؤمنين (ع): "فُهْمِلَ الْعُقْلُ عَلَى الْهُوَرِ؛ لِأَنَّ الْعُقْلَ يَمْلِكُ الزَّمَانَ، وَالْهُوَرِ يَسْتَعْبِدُ لِلزَّمَانِ".

## نموذج عن معركة:

من المناسب أن نذكر نموذجاً من المعارك التي تجري في باطن الإنسان بين جنود العقل والجهل حتى

تبين لنا كيفية هذا المصراع بشكل أوضح.

فمن النماذج التي سلطت التاريخ عليها ضوءاً، نموذج عمر بن سعد حين وعده الخليفة الظالم يزيد بن معاوية (لعنه الله)، بإمارة الري، ولكنه طلب منه مقابل منحه لإمارة الري، أن يقتل الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) وأبا السيدة الزهراء وحفيد رسول الله ص، فهنا اصطفت الجنود للمعركة في نفس عمر بن سعد، فجعل يتخير بين قتل الحسين (ع) والذي تأمره به النفس الأمارة وحب الجاه والمنصب لينال إمارة الري، وبين العقل الذي يمنعه عن ذلك من خلال جند الرحمن الذين يخذلونه من عاقبة قتل إمام زمانه المظلوم، وكان يقول في ليله:

أَمْ أَرْجُعُ مَا ثُومًا = بِقَتْلِ حَسِينٍ ؟

ففي مثلهِ النارُ التي ليس دونها حجابٌ وملوكُ الريّ قرّةُ عيني

فهنا يتجلّى ويتحتم الصراع لاحتلال النفس، ولكن في هذه المعركة تغلّبت جند الشيطان على عقل عمر بن سعد فرضخ لحبّ الجاه، وقتل الإمام العادل حفيظ الرسول (ص).

ونموذج آخر ينقله لنا التاريخ وهو موقف الحرث بن يزيد الرياحي<sup>٣</sup>، الذي كان في جيش ابن زياد وقد خبر نفسه بين الحدة التي يلقاها بالاستشهاد من أجل الهدف النبيل في الدفاع عن الإسلام الحقيقي المتمثل بالإمام الحسين (ع)، وبين النار التي تمثل في دعم الطغية الذي يمثله يزيد بن معاوية، فاختار الجنة وعاد تائباً إلى معسكر الإمام الحسين (ع). ▶

المصدر: كتاب في رحاب الأخلاق / سلسلة المعارف